أَلحُلُولُ العَامَّةُ لِمَشَاكِلِ المُعَاشَرَةِ الزَّوْجِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. الشيخ. هاشم ابو خمسين
جامعة المصطفى العالمية

فحوى البحث

ان هذه الدارسة عبارة عن تفسير موضوعي للقرآن الكريم، ولكنها اختارت موضوعا من الواقع الاجتماعي، وهو المشاكل الزوجية، فحاولت استقراء الآيات القرآنية الكريمة والبحث فيه عن الحلول التي نزل بها الوحي، لكي تخدم الباحثين في الشؤون القرآنية من جهة كما تفيد في رفع الازمات العائلية او التخفيف منها او الوقاية قبل وقوعها.

والهدف من البحث:

تقديم الحلول العامة –لا الخاصة والجزئية –التي تنسجم مع روح الحياة الزوجية القرآنية والاسس العامة لها من وجهة نظر القرآن الكريم بما يتماشى مع حقوق الزوجين.

تمهيد:

ان الدراسات القرآنية لابد ان تساق باتجاه ما يكون جديدا وما هو في خدمة المجتمع، وذلك لطبيعة القرآن والتي هي الهداية ومساعدة البشرية للوصول الى السعادة الحقة، ولان الجديد في التفسير يقتضي النزول على الواقع الاجتماعي لمعرفة المشاكل الموجودة وتسليط الضوء عليها من خلال الآيات القرآنية ومن ثم تفسيرها بطريقة التفسير الموضوعي ليصل الباحث الى الاجوبة النهائية بعد جمع الآيات وتصنيفها وتفسيرها واستخراج الحلول المفهومة من القرآن عبر استقـــراء اراء المتخصصـين في تفسيره –مـــن المدرستين –وبعيدا عن التحميل على النص القرآن او التعصب المذهبي. فجاءت هذه الدراسة استجابة لدعوة الحرم الحسيني المنور وتلبية لحاجة المجتمع المعاصر ولفتح باب في التفسير الموضوعي مـــن خلال تتبع الاجوبة المتاحة في القرآن الكريم.

مجال البحث وحدوده:

هذه المحاولة عبارة عن دراسة تحاول ان تجمع الحلول العامة للمشاكل الزوجية وليست الخاصة منها فهي ليست في مقام اعطاء المهارات او التمرينات الحرفية او الحلول التفصيلية والجزئية لجميع مشاكل الحياة الزوجة، فضلا عن الحياة الأسرية والجوانب العائلية المختلفة. فالبحث هذا انما يدرس تلك الحلول التي قدمتها الآيات القرآنية لرفع ما يعكر صفو الحياة الزوجية. كما يلاحظ ان هذه الدراسة لا تمثل الرأي النهائي الاسلامي والذي يصدره عادة الفقيه الذي يجمع بين رأي القرآن والسنة والعقل وغيرها من مصادر الاستنباط. بل هي دراسة تمثل الرأي القرآن فقط.

الأسس والمفترضات التي يبتني عليها هذا البحث:

١. ان العـــــلاقة الزوجية علاقة إلهية مقدسة[1]، ثم ان الله تبارك وتعالى يراقبها ويهتم بها؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

(١) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج ٣، ٩١٨ (دار الفكر العربي – القاهرة).

لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[سورة الروم: ٢١] فالدليل على كونها علاقة إلهية هو: الجعل {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ}.

٢. إن العلاقة الزوجية هي علاقة من الداخل ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم: ٢١]، قبل أن تكون من الخارج. و قد أقامها القرآن على المودة و الرحمة، فلا بد لها من قاعدة في الروح تنتج هذين العنصرين الروحيين اللذين يحميان الحياة الزوجية من الاهتزاز و الانهيار، و لذلك كان من الضروري أن يفكر المسلم أو المسلمة بالعناصر الروحية الداخلية التي تثير الإعجاب الإيماني و العقلي بالإضافة إلى العناصر الخارجية[٢].

٣. من الامور التي تُنعش الحياة الزوجية-على اساس ان قوامها من الله -الذكر، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه: ١٢٤] والإيمان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [سورة مريم: ٦٩].

٤. ان الاصل في الحياة الزوجية هو وجود المشاكل، لانه اجتماع بين شخصيتين، لأن كل اجتماع يتوقع حصول تعارض المصالح فيه[٣]، كما ان تقديم الرجل وقيموميته ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [سورة النساء: ٣٤] تعد علامة على طبيعية واعتيادية وقوع هكذا مشاكل فجعل الرجل مرجعا و قيموميته حلا[٤]، كما ان قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [سورة

(٢) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج٤، ص: ٢٤١ (دار الملاك للطباعة والنشر، ١٤١٩، بيروت).

(٣) ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، ج٢، ص٣٨٢. (طبعة منقحة، مؤسسة التاريخ).

(٤) ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، ج٢، ص٣٨٢. (طبعة منقحة، مؤسسة التاريخ).

النساء: ٣٥]، يشير في ان التدخل الخارجي لحل الخلافات الزوجية مشروط وقيد بالخوف من الشقاق والطلاق[٥]، والا فبقيـــة المشاكل لا يندب اليها القرآن لكي يتدخل الحكمان لانها من الامور الطبيعية في الحياة الزوجية.

٥. يشير القرآن الكريم الى ان للحياة الزوجية أصولاً وأسساً[٦] تقوم عليها هي التي ذكرها اللّه في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم: ٢١].

٦. ان للزوجين حقوقاً متبادلة بَيَّنها الله تبارك وتعالى من خلال الشريعة المقدسة[٧].

٧. ان هذا البحث يلاحظ عموم الحياة الزوجية ويضع لها الحلول العامة.

الفصل الاول:

الاطار العام للحياة الزوجية في القرآن

المبحث الاول:

الاسس العامة للحياة الزوجية في القرآن الكريم

اقصـــد بالأسس العـــامة: مجموعة الأصول التي تشكل إطارًا نظريًا للجياة الزوجية، وتحديد غايتها، وتوضيـــح معايير نجاحها، والتي تضفي نوعًا من التوحد او الاشتراك بين أنشطتها[٨]. او هي المقومات الكبرى للعقيدة القرآنية، التي تقوم عليها الحياة الزوجية[٩].

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، ج٣، ص١٩٢. (دار أحياء التراث العربي، بيروت).

(٦) المراغي، احمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج٥، ص١٧٤. (دار أحياء التراث العربي، بيروت).

(٧) الطنطاوي، السيد محمد، التفسير الوسيط للقران الكريم، ح١، ص٥٢٦. (نهضة مصر، ١٩٣٨).

(٨) عبد الإله عبدالله المشّرف، الأسس العقدية والاجتماعية والنفسية للمناهج الدراسية، ص٤٨، ورقة عمل مقدمة لندوة "بناء المناهج، الأسس والمنطلقات"، كلية التربية، جامعة الملك سعود خلال الفترة من ١٢ -١٣/ ٣/ ١٤٢٤هـ الموافق ١٣-١٤/ ٥/ ٢٠٠٣هـ، عن "بكار، عبد الكريم (١٤٢١) عصرنا والعيش في زمانه الصعب. دار القلم، دمشق".

(٩) الشاذلي، سيد قطب بن ابراهيم، في ظلال القرآن، ج٦، ص: ٣٥٤٨. (درا الشروق، ١٤١٢، القاهرة)... نقلنا هذين التعريفين

و سنعمد الى القرآن الكريم للحصول على اهم تلك الاسس التي حكتها الآيات حول الحياة الزوجية، محاولين اكتشافها والاستشهاد عليها بالآيات القرآنية ومن كلام المفسرين. واهم تلك الاسس هس:

اولا: ان النكاح في الإسلام مبني على أساس عقدي:

الدليل: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١]، فلا يجوز الزواج بالمشركات[١٠]، وذلك لعدم وجود اشتراك عقيدي بين الزوجين وهو الاسلام[١١]، على اقل تقدير.

ثانيا: النكاح حكم و طاعة وعبادة:

الدليل: ويدل عليه طائفة من الآيات الكريمة مجتمعة، منها:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥]، و لا تصححوا عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة، فتوجبوها بينكم و بينهن، و تعقدوها قبل انقضاء العدة[١٢]. فهو من احكام الله تبارك وتعالى يشهد له قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٤] هو إغراء بالحفاظ على هذه الحدود، و التزامها، كما بينها اللّه و جعلها عهدا و ميثاقا بينه و بين المؤمنين به.. بمعنى احفظوا و ارعوا ما كتب اللّه لكم و افترض عليكم من أحكام الزواج[١٣].

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ

بتصرف بما ينسجم مع الموضوع.

(١٠) الصادقي الطاهرين، محمد، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦. (ط ١، ١٤١٩، قم).

(١١) الحسيني الشيرازي، سيد محمد، تبيين القران، ج١، ص٤٩. (ط٢، دار العلوم، ١٤٢٣، بيروت).

(١٢) الطبري، ابو جعفر محمد ابن جرير، جامع البيان في تفسير القران، ج٢، ص٢٣٦. (ط١، دار المعرفة، ١٤١٢، بيروت).

(١٣) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقران، ج٣، ص٧٣٨. (دار الفكر العربي-القاهرة).

وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٣٢].

و معناه زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم و نسائكم و هذا أمر ندب و استحباب و قد صح عن النبي ص أنه قال من أحب فطرتي فليستن بسنتي و من سنتي النكاح[١٤].

وعليه يمكننا ان نستنتج -كما استنتج المفسرون -مما تقدم، الزواج من احكام الله وهو امر مستحب فهو عبادة وطاعة لله.

ثالثا: للزوجين حقوق وعليهما واجبات:

اي ان الطرفين متعادلان من حيث انهما ملزمان ببعض الواجبات، أحدهما تجاه الاخر ولهما بعض الحقوق على الاخر.

الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]، {وَ لَهُنَ} يعني و للنساء على الأزواج {مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ} يعني للأزواج {بِالْمَعْرُوفِ} و ذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر فيما له، و عليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها، و مصالحها و يجب على الزوجة الانقياد و الطاعة له[١٥]. ولعل هذه الاية الكريمة اوجزت اثبات الحقوق والواجبات على الطرفين بش كل بديع ومختصر قانوني جميل وبليغ.

رابعا: درجة الرجل وقيمومته على المرأة:

الدليل:

١. قوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]، أي فضيلة كالطاعة و الرجوع[١٦]، او زيادة في

(١٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢٢٠ (ط٣، منشورات ناصر خسرو، ١٤١٣، طهران).

(١٥) البغدادي، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج١، ص: ١٦٠. (ط١، درا الكتب العلمية، ١٤١٥، بيروت).

(١٦) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص، ٤١. (ط١، دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٩، بيروت).

الحق و فضيلة[١٧].

٢. قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [سورة النساء: ٣٤]، أي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير و التأديب و الرياضة و التعليم {بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ} هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن أي إنما ولاّهم الله أمرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم و العقل و حسن الرأي و العزم[١٨]، فإن روح الآية التي وردت فيها و نصّها معا يسوغان القول إنها في صدد تقرير قوامة الزوج على الزوجة في الحياة الزوجية دون الشؤون الأخرى. و الآية التي تأتي بعد هذه الآية من الأدلة الحاسمة على ذلك. لأنها تذكر احتمال الشقاق بينهما. و كلمة {بَيْنِهِما} لا يمكن أن تعني إلّا الزوجين[١٩].

خامسا: المشورة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].

فان أراد الأبوان فِصالًا للولد عن الرضاع و فطامه قبل الحولين {عَنْ تَراضٍ مِنْهُما} بأن رضي كلا الأبوين بالفصال، الأب لأن عليه النفقة، و الأم لأن لها التربية، فاللازم رضاية كليهما في الفصال وَ {تَشاوُرٍ} أي مشورة تؤدي إلى مصلحة الولد[٢٠]. وكما يدل عليه اطلاق قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى: ٣٨]، و مدح المؤمنين لذلك[٢١].

(١٧) الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص: ٢٧٢. (ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧، بيروت).

(١٨) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص، ٦٩.

(١٩) دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، ج٨، ص، ١٠٥. (دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣، القاهرة).

(٢٠) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، تبيين القرآن، ص: ٤٨. (ط٢ ظن دار العلوم، ١٤٣٢، بيروت).

(٢١) الزحيلي، وهبي بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، ج٢، ص: ٣٦٦ (ط٢، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨، بيروت دمشق).

كما يدله عليه قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾[سورة الطلاق: ٦]، فهو خطاب للآباء و الأمهات، و الافتعال بمعنى التفاعل، يقال: ائتمر القوم و تآمروا بمعنى، قال الكسائي: و المعنى تشاوروا(٢٢).

سادسا: المودة والرحمة بين الزوجين:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١]. أي: ودادا و تراحما بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضكم على بعض من غير أن يكون بينكم قبل ذلك معرفة فضلا عن مودّة و رحمة(٢٣).

سابعا: الهدف من العلاقة الزوجية هو السكينة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[سورة الروم: ٢١]، أي من جنسكم و الغاية هي السكينة الروحية و الهدوء النفسي و حيث أن استمرار العلاقة بين الزوجين خاصة، و بين جميع الناس عامة، يحتاج إلى جذب قلبي و روحاني، فإنّ الآية تعقب على ذلك مضيفة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[سورة الروم: ٢١].(٢٤) ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[سورة الروم: ٢١] في أجواء الهدوء النفسي و الطمأنينة الروحية، و الاستقرار الغريزي، و الهدوء العاطفي، في طبيعة التكامل الإنساني في علاقة الرجل بالمرأة، في ما يحس به كل واحد منهما أن الآخر جزء من ذاته و قطعة من نفسه، بحيث يعيش في فراغ شعوري هائل عند ما يشعر بالابتعاد عنه و الحرمان منه، و

(٢٢) الالوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج١٤، ص: ٣٣٥. (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥، بيروت).

(٢٣) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج٤، ص: ٢٥٣. (ط١، دار ابن كثير، ١٤١٤، دمشق، بيروت).

(٢٤) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٤٩٥. (ط١، نشر مدرسة الامام علي عليه السلام، ١٤١٢، قم).

ذلك من خلال طبيعة الانجذاب الذاتي الذي يتحرك في كيان الإنسان من خلال الفطرة التي فطر الناس عليها، مما يجعل من المسألة مسألة لا تقتصر على الجانب الجنسي في حرارة العلاقة المتكاملة، بل تتعداه إلى سائر الجوانب الروحية و الشعورية[٢٥].

المبحث الثاني:

الحقوق الزوجية في القرآن:

وهنا نوجه السؤال الى القرآن الكريم من احل معرفة الحقوق الزوجية التي اشار اليها، ولابد ان نقسم السؤال على فرعين الاول هو ما هي حقوق الزوجة؟، والثاني ما هي حقوق الزوج؟. ونحاول الاجابة عنهما من آيات القرآن الكريم.

اولا: حقوق الزوجة في القرآن الكريم:

١. الصداق: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾ [سورة النساء: ٤].

٢. المعاشرة بالمعروف: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[سورة النساء: ١٩].

٣. أن يطعمها ويكسوها من غير تقتير ولا إسراف: ﴿ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].

٤. أن يعلمها الخير ويأمرها به: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٣٢].

٥. حق الخلع: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩].

٦. اذا طلقها ان يكون الطلاق محترماً وحسن الصورة: ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾[سورة البقرة: ٢٢٩].

٧. حفظ اموالها: قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ

(٢٥) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج١٨، ص: ١١٥.

مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة النساء: ٢٠].

ثانيا: حقوق الزوج في القرآن الكريم:

واما حقوق الزوج على الزوجة في القرآن فهي كما يلي:

١. حق الطاعة: قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[سورة النساء: ٣٤].

٢. التمكين وستر عيوبه: قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

٣. للرجل الحق في اعتماد طريقة في تقويم هذا النشوز: قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[سورة النساء: ٣٤].

٤. حفظ الزوج في ماله وعرضه: قال تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

٥. عدم الخروج من البيت الا بإذنه: قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]، ومدح الحور العين في الجنان لكثهن وعدم خرجهن، قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾[سورة الرحمن: ٧٢].

الفصل الثاني:
الحلول العامة للمشاكل الزوجية في القرآن

والان وبعد التعرف على اركان الحياة الزوجية والهدف من الزواج في نظر القرآن الكريم -علينا ان نعرف ان المشاكل التي يمكن ان تحدث فهي اما ان يكون منشؤها الجهل بتلك الأطر القرآنية للحياة الزوجية او يكون منشؤها عدم العمل وعدم تطبيق الارشادات القرآن العاملة على تدعيم العلقة الزوجية وحراستها. فالمشكلة اما ان تكون من الجهل او من عدم التطبيق. ولذا قسمنا الفصل الى مبحثين هما «الحلول المعرفية العلمية» و «الحلول السلوكية العملية».

المبحث الاول:

الحلول العامة المعرفية العلمية

وهذا المبحث يمثل الجنبة القانونية للحياة الزوجية، والتي تتمثل بمعرفة فلسفة الزواج واركانه واسسه والحقوق الزوجية المذكورة في القرآن الكريم. ومن هنا فإن الحلول العامة المقترحة في هذا المبحث عبارة عما يلي:

اولا: التعرف على الاسس العامة للحياة الزوجية في القرآن الكريم.

ثانيا: التعرف على حقوق الزوجة في القرآن الكريم.

ثالثا: التعرف على حقوق الزوج في القرآن الكريم.

رابعا: التعرف على الهدف من العلاقة الزوجية.

خامسا: معرفة شخصية الزوج وكشف شخصيته.

الدليل: قال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف: ١٨]

أي يتربّى «فِي الْحِلْيَةِ» الزينة يريد البنات لأنهن يزخرفن بالحليّ ليرغب فيهن[٢٦]، أي يربى في الحلية و الدعة و النعومة، فلا يقدر على جدال و لا قتال[٢٧]، «وَ هُوَ» جنس البنات «فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ» لضعف حالهن [٢٨].

﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف: ١٨]: أي ينتقل في عمره حالا فحالا في الحلية، و هو الحلي الذي لا يليق إلا بالإناث دون الفحول، لتزينهن بذلك لأزواجهن، و هو إن خاصم، لا يبين لضعف العقل و نقص التدبر و التأمل، أظهر بهذا لحقوقهن و شفوف البنين عليهن. و كان في ذلك إشارة إلى أن الرجل لا يناسب له التزين كالمرأة، و أن يكون مخشوشنا. و الفحل من الرجال أبى أن يكون متصفا بصفات النساء، و الظاهر أنه أراد بمن ينشؤا في الحلية: النساء. و قال ابن عباس

(٢٦) ملا حويش آل غازي، عبد القادر، بيان المعاني، ج٤، ص: ٦٥. (ط١، دار الترقي، ١٣٨٢هـ، دمشق).

(٢٧) الشاذلي، سيد قطب بن ابراهيم، في ظلال القرآن، ج٥، ص: ٣١٨١.

(٢٨) ملا حويش آل غازي، عبد القادر، بيان المعاني، ج٤، ص: ٦٥.

و مجاهد و قتادة و السدي: و يدل عليه قوله: ﴿ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾: أي لا يظهر حجة، و لا يقيم دليلا، و لا يكشف عما في نفسه كشفا واضحا. و يقال: قلما تجد امرأة لا تفسد الكلام، و تخلط المعاني[٢٩].

اذن على الـزوج ان يعرف حقيقة المرأة وطبيعتها وكذلك على المرأة ان تعرف حقيقة الرجل وطبيعته، لترتفع بذلك جملة من الإبهامات وسوء التفاهم الناشئ من عدم معرفة الشريك.

وهذه الامور مر ذكرها ودراستها في الفصل الاول من هذا البحث.

المبحث الثاني:

الحلول العامة السلوكية العملية

وهذا المبحث يمثل الجنبة الاخلاقية للحياة الزوجيـة والتي هي اعم من القوانين، فالحياة الزوجية وضعت لها القوانين والنظـم لا لتكون كالدوائر الرسمية والمحـاكم العدلية والرقابة الحكومية، والا لانعدمت صبغة السكون والمحبة والالفة، لذا فان القرآن اقرّ الحقوق والقوانين وترك المجال للتسامح والاخلاق والمداراة ووالعفو والتغافل والحنـان والتعاطف والمواساة لكي تلقي بظلالها الرحيم، وشفقها اللطيف، ولونها النرجسي وطعمها الحي وجمعها الدافئ فتكون مراكزاً لصناعة السعادة ولبنة سالمة لبناء المجمتع، مفاهيم تنسجم مع معرفة فلسفة الزواج واركانه واسسه والحقوق الزوجية المذكورة في القرآن الكريم. ولكنها اعم واوسع عطاءا -فيها تظهر انسانية الانسان ورقة الانوثة وانشاق الآدمية، لزراعة الحب وصناعة الانسان، ومن هنا فإن الحلول العامة المقترحة السلوكية او العملية في هذا المبحث هي عبارة عما يلي:

اولا: تغليب الجانب العقلي على العاطفي:

الدليل: قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[سورة النساء: ١٩]، و هذه لفتة قرآنية توحي للأزواج بالابتعاد

(٢٩) الاندلسي ابو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج٩، ص: ٣٦٣. (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠، بيروت).

عن الاستسلام للمشاعر الطارئة السلبية تجاه زوجاتهم، فليس من المفروض أن تصدق المشاعر، أو تقترب من الواقع فقد تنطلق المشاعر بالكراهة على أساس حالة انفعالية سريعة، ناشئة من نظرة سوداء أو كلمة حمقاء أو حركة عابرة..، مما يستثير في الإنسان جانب الإحساس الضبابي الغامض الذي يحجب عنه جانب الوضوح في الرؤية، فيخيّل له أن الخير شرّ، و أن الشرّ خير، فتختلط لديه المواقف، و تبتعد عن طريقه الحكمة..، فيتصرف تصـــرفا خاطئا بعيدا عن مصلحته[٣٠].

ثانيا: الصلح:

الدليل: قولـــه تعالى: ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ ﴾ فان المشاكل التي تعرض على العلاقة الزوجية يمكن ازالتها بالرجوع الى نقطة الصفر ومسح كل كل العلامات السالبة تجاه الطرف الزوجي، وعندها يكون الحـــل من المهارات التي يجب ان يكسبها ويتحلى بها الزوجان. فهو خير من التسريح و الفراق، لأن رابطة الزوجية من أعظم الروابط و أحقها بالحفظ، و ميثاقها من أغلظ المواثيق. و عروض الخلاف بين الزوجين و ما يترتب عليه من نشوز و إعراض و سوء معاشرة من الأمور الطبيعية التي لا يمكن زوالها من البشر[٣١].

ثالثا: الدعاء:

الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

نرى ان سيـدنا زكريا عليه السلام دعا ربه بالذريـــة مع العلم ان هناك مشكلة العقر، لكن الله تبارك وتعالى استجاب له، ثم اكد الله له اصلاح زوجته وهو حل لمشكلة زوجية كبيرة، لكنها عند الله ليست كبيرة فهو مؤسس العلاقات الزوجية ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ

(٣٠) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن،، ج٧، ص: ١٦٤.

(٣١) المراغي، احمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج٥، ص: ١٧٢. (دار احياء التراث العربي، بيروت).

أَزْوَاجًا ﴾ [سورة النحل: ٧٢]، فقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾ فهو كالتفسير للاستجابة و في تفسير قوله: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحها للولادة بأن أزال عنها المانع بالعادة، و هذا أليق بالقصة[٣٢].

وكما في قولـــه تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، وهي تكملة الاية اذ كان الزوجان يدعوان الله لحل المشكلة ومن الله عليهم برفعها.

رابعـــا: التحـــلي بصفات الزوجة الصالحة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[سورة التحريم: ٥].

يضـــع القرآن الكريم عدّة صفات للمرأة الصالحـــة التي يمكنها أن تكون أنموذجا يقتدى بـــه في انتخاب الزوجة اللائقة. الأوّل «الإسلام» ثمّ «الإيمان» أي الإعتقاد الذي ينفذ و يترسّخ في أعماق قلب الإنسان. ثمّ حالة «القنوت» أي التواضع و طاعة الزوج. بعد ذلك «التوبة» و يقصد أنّ الزوجة إذا ما ارتكبت ذنبا بحقّ زوجها فإنّها سرعان ما تتوب و تعتذر عن ذلك. و تأتي بعد ذلك «العبادة» التي جعلها اللهّ سبحانه ليطهّر بها قلب الإنسان و روحه و يصنعها من جديد، ثمّ «إطاعة أوامر اللهّ» و الورع عن محارمه.

و ممّا يذكر أنّ جماعة من المفسّرين -بل أكثرهم -اعتبروا كلمة «سائح» بمعنى «صائم» و لكن طبقا لما أورده «الراغب» في «المفردات» فإنّ الصوم على قسمين: «صوم حكمي»: و هو الامتناع عن تناول الطعام و الماء، و «صوم حقيقي»:

و هـــو امتناع أعضاء الإنسان عن ارتكاب المعاصـــي. و من الجدير بالذكر أنّ القرآن لم يعط أهميّة تذكـــر للباكر و غير الباكـــر، فإنّه عند ما ذكر الصفات المعنوية للزوجة الصالحة ذكر هذه المسألة بصورة عابرة ومن دون أي

(٣٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج٢٢، ص: ١٨٢ (ط٣، داراحياء التراث العربي، ١٤٢٠، بيروت).

تركيز [٣٣].

خامســا: التحلي بصفــات الزوج الصالح:

الدليل: قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الاحزاب: ٣٥].

والاية تكلم الازواج بحسب سياق الآيات السابقة لها من الاية٢٨ الى ٣٥ من سورة الاحزاب (يانساء النبي...).

فلما أمرهن و نهاهن و بين ما يكون لهن و ذكر لهن عشر مراتب الأولى: الإسلام و الانقياد لأمر اللّه و الثانية: الإيمان بما يرد به أمر اللّه، فإن المكلف أولا يقول كل ما يقوله أقبله فهذا إسلام، فإذا قال اللّه شيئا و قبله صدق مقالته و صحح اعتقاده فهو إيمان ثم اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن و العمل الصالح فيقنت و يعبد و هو المرتبة الثالثة: المذكورة بقوله: وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ ثم إذا آمن و عمل صالحا كمل فيكمل غيره و يأمر بالمعروف و ينصح أخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة و هو المراد بقوله: وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ ثم إن من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ ثم إنه إذا كمل و كمل قد يفتخر بنفسه و يعجب بعبادته فمنه منه بقوله: وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ أو نقول لما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها و هو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة من الأمور الداخلة، و الغضب منهما يكون لأنه يكون بسبب نقص جاه أو فوت مال أو منع من أمر مشتهى فقوله: وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ أي المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة، ثم قال

(٣٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص: ٤٤٦.

تعالى: ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ أي الباذلين الأموال الذين لا يكنزونها لشدة محبتهم إياها. ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾ إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة اللّه. ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ أي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية.

ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون اللّه و يكون إسلامهم و إيمانهم و قنوتهم و صدقهم و صبرهم و خشوعهم و صدقتهم و صومهم بنية صادقة لله[٣٤].

فالايـــة تنص على صفات الزوج الصالـــح او النموذجي في القرآن كما اشارت الى صفـــات الزوجة الصالحة كذلك. ومـــا على الازواج الى متابعة القرآن والتمثل بسيرة واخلاق الزوج النموذجي.

سادسا: المحكمة العائلية:

الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٣٥].

في هـــذه الآية إشارة إلى مسألة ظهور الخلاف و النزاع بين الزوجين، فهي تقول: وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها ليتفاوضا و يقربا من أوجه النظر لدى الزوجين، ثمّ يقول تعالى: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ أي ينبغي أن يدخل الحكمان المندوبان عن الزوجين في التفاوض بنيّة صالحة و رغبة صادقة في الإصلاح، فإنّهما إن كانا كذلك أعانهما اللّه و وفق بين الزوجين بسببهما.

و من أجـــل تحذير (الحكمين) و حثّهما على استعمال حسن النّية، يقول سبحانه في ختام هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾.

إنّ محكمـــة الصلح العائلية التي أشارت إليهـــا الآية الحاضرة، هي إحدى مبتكرات الإسلام العظيمة، فإن

(٣٤) فخر الدين الـرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص: ١٦٩

هذه المحكمة تمتاز بميزات تفتقر إليها المحاكم الاخرى، من جملتها:

١. إن البيئة العائلية بيئة عاطفية، و لذلك فإن المقياس الذي يجب أن يتبع في هذه البيئة، يختلف عن المقاييس المتبعة في البيئات الأخرى، يعني كما أنّه لا يمكن العمل في «المحاكم الجنائية» بمقياس المحبّة و العاطفة، فإنّه لا يمكن -في البيئة العائلية-العمل بمقياس القوانين الجافة. الضوابط الصارمة الخالية عن روح العاطفة، فهنا يجب حل الخلافات العائلية بالطرق العاطفية حدّ الإمكان، و لهذا يأمر القرآن الكريم أن يكون الحكمان في هذه المحكمة ممن تربطهم بالزوجين رابطة النسب و القرابة ليمكنهما تحريك المشاعر و العواطف باتجاه الإصلاح بين الزوجين، و من الطبيعي أن تكون هذه الميزة هي ميزة هذا النوع من المحاكم خاصّة دون بقية المحاكم الأخرى.

٢. إنّ المدعي و المدعى عليه في المحاكم العادية القضائية مضطران -تحت طائلة الدفاع عن النفس -أن يكشفا عن كل ما لديهما من الأسرار، و من المسلم أنّ الزوجين لو كشفا عن الأسرار الزوجية أمام الأجانب و الغرباء لجرح كل منهما مشاعر الطرف الآخر، بحيث لو اضطر الزوجان أن يعودا -بحكم المحكمة -إلى البيت لما عادا إلى ما كانا عليه من الصفاء و المحبة السالفة، بل لبقيا يعيشان بقية حياتهما كشخصين غريبين مجبرين على القيام بوظائف معينة، و لقد دلّت التجربة و أثبتت أنّ الزوجين اللذين يضطران إلى التحاكم إلى مثل هذه المحاكم لحل ما بينهما من الخلاف لم يعودا ذينك الزوجين السابقين.

بينما لا تطرح أمثال هذه الأمور في محاكم الصلح العائلية للاستحياء من الحضور، أو إذا اتفق أن طرحت هذه الأمور فإنّها تطرح في جو عائلي، و أمام الأقرباء فإنّها لا تنطوي على ذلك الأثر السيء الذي أشرنا إليه.

٣. إنّ الحكمين في المحاكم العادية

المتعارفة لا يشعران عادة بالمسؤولية الكاملة في قضايـــا الخلاف و المنازعات، و لا تهمهما كيفية انتهاء القضية المرفوعة إلى المحكمة، هل يعود الزوجان إلى البيت على وفاق، أو ينفصلا مع طلاق؟.

في حين أنّ الأمر في محكمة الصلح العائلية على العكس من ذلك تماما، فإن الحكمين في هذه المحكمة حيث يرتبطان بالزوجين برابطة القرابة، فإن لافتراق أو صلح الزوجين أثرا كبيرا في حياة الحكمين من الناحية العاطفية، و من ناحية المسؤوليات الناشئة عن ذلك، و لهذا فإنّهما يسعيان -جهد إمكانهما -الى أن يتحقق الصلح و السلام و الوفاق و الوئام بين الزوجين اللذين يمثلانهما، و أن يعيدا المياه إلى مجاريها كما يقول المثل.

٤. فضلاً عن كلّ ذلك فإن مثل هذا المحكمة لا تعاني من أية مشكلات، و لا تحتاج إلى أية ميزانيات باهظة، و لا تعاني من تلك الخسارة و الضياع الذي تعاني منه المحاكم العادية، فهي تستطيع أن تقوم بأهدافها و تحقق أغراضها من دون أية تشريفات و في أقل مدّة من الزمن. و لا يخفى أنّه يجب أن يختار الحكمان من بين الأشخاص المحنّكين المطلعين المعروفين، في عائلتي الزوجين بالفهم و حسن التدبير. مع هذه المميزات التي عددناها يتبيّن أنّ هذه المحكمة تحظى بفرصة للإصلاح بين الزوجين. إنّ مسألة الحكمين و ما يشترط فيهما من الشروط، و مدى صلاحيتهما و ما يحكمان به في مجال الزوجين، قد ذكر في الكتب الفقهية بالتفصيل، منها أن يكون الحكمان بالغين عاقلين عادلين بصيرين بعملهما[٣٥].

سابعا: الرضا بعطاء الله:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٣٢].

(٣٥) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٣، ص: ٢٢٤.

{وَلا تَتَمَنَّوْا}: مـا أعطاه اللّه تعالى بَعْضَكُمْ و ميزه بِهِ عليكـم من المال و الجاه و كـل ما يجري فيه التنافس، فإن ذلك قسمة صادرة من حكيم خبير و على كل من المفضل عليهم أن يرضى بما قسم له و لا يتمنى حظ المفضل و لا يحسده لأن ذلك أشبه الأشياء بالاعتراض على من أتقن كل شيء و أحكمه[٣٦].

فلابـد للانسان من ان يدرك ان الناس متفاوتـون بالمواهب والملكات والقدرات والجمال والقـوة، فلا يكن هذا التفاوت باعثا على الحزن والحسد والمشاكل.

{وَلَا تَتَمَنَّوْا}: من نعيم الحياة الدنيا فإن تمني ذلك من الحسد الذميم الباعث على الشرور. فعن تفسير العياشي عن عبد الرحمن عن الصادق عليه السلام في الآية لا يتمنى الرجل امرأة الرجل و لكن يسأل اللّه مثلها أقول و لا يخفى ان ذكر امرأة الرجل من باب المثال الذي يتعين فيه ان المنهي عنه هو التمني لعين ما فضل اللّه به الغير من النعم[٣٧].

ثامنا: عدم التكليف بما لا يُستطاع:

الدليل: قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٧].

فلا ينبغي للذين ليس لهم القدرة أن يتشدّدوا و يعقدوا الأمور، كما أنّ الذين لا يملكون القدرة المالية غير مأمورين إلّا بالقدر الذي تسعه قدرتهم المالية و لا يحقّ للنساء مطالبتهم بأكثر من ذلك.

و بناء على هذا فالذين لديهم المقدرة و الاستطـاعة ثمّ يبخلون بها فإنّهم يستحقّون اللـوم و التقريع لا الذين لا يملكون شيئا.

و في نهاية المطاف يبشّرهم اللّه تعالى بقوله: سَيَجْعَلُ اللّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً أي لا تجزعوا و لا تحزنوا و لا يكن الضيق في المعيشة سببا لخروجكم عن الطريق السوي، فإنّ الدنيا أحوال متقلّبة لا تبقى

(٣٦) الالـوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص: ٢٠.

(٣٧) البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٠٠. (ط١، مؤسسة البعثة، ١٤٢٠، قم).

على حال، فحذار من أن تقطع المشاكل العابرة و المرحلية حبل صبركم.

و كانت هذه الآية بمثابة بشرى أبدية للمسلمين الذين كانوا حينذاك يعيشون ضنكا ماديا و عوزا في متطلّبات الحياة، فهي تبعث الأمل في نفوسهم و تبشّر الصابرين[٣٨].

تاسعا: السعي المشترك من الزوجين لحل المشكلة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]. حيث كان الزوجان يدعوان الله معا، اي يسعيان معا في حل المشكلة.

عاشرا: التشابه والتكافؤ والتقارب في الصفات:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

فان كلمات "يسارعون" و "يدعوننا" و "خاشعين"، تدل على الاشتراك بين الزوجين في صفاتهم واعمالهم وميولهم و وتفكيرهم، وتوجههم الديني وايمانهم، وهو ما يؤدي الى الانسجام اكثر.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٩١]. إذا رءاها من سنخها، و تذكير ضمير يسكن بلحاظ المعنى و يجوز ان يراد بنفس واحدة، حوّاء و يكون معنى جعل منها زوجها جعل من سنخها زوجها و هما آدم عليه السلام و حوّاء عليها السلام[٣٩].

(٣٨) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص: ٤٢١.

(٣٩) الكنابادي، السلطان محمد، تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، ج٢، ص: ٢٢٢. (ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨، بيروت).